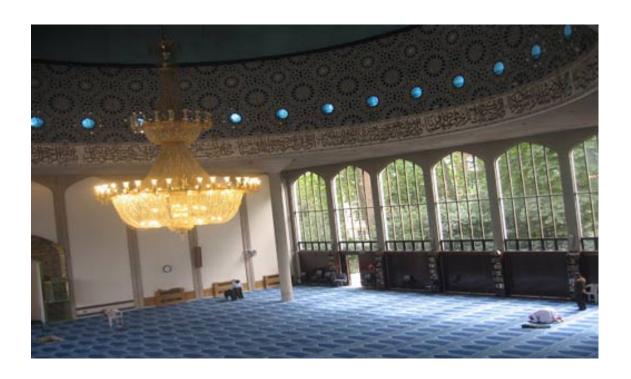
نتائج التقوي وثمرات القول السديد



◄التَّقوى والقول السديد:

يختصر القرآن الكريم للإنسان حركته في الحياة التي تقر "به إلى ا□ وترفع درجته عنده سبحانه. فيقول تعالى: (يَا أَيَّ هُا السَّدَيِنَ آمَـنُوا اتَّ قُوا اللَّهَ وَ قُولُوا قَو لا سَدِيدًا * يُصْلِح ْلَكُم ْ وَمَن ْ يُطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَه ُ يُصْلِح ْ لَكُم ْ وَمَن ْ يُطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَه ُ يُصْلِح ْ لَكَكُم ْ وَمَن ْ يُطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَه ُ وَهَاكُ في الخطاب القرآني كلمة تتصل بحركة في آذي وهناك كلمة أخرى تتصل الإنسان في الحياة من حيث انسجامها مع طاعة ا□ وابتعادها عن معصية ا□، وهناك كلمة أخرى تتصل بالخط ّ الذي يركّز الإنسان عليه قول َه مما يتصل بشؤون العقيدة والشريعة، وشؤون العلاقات الإنسانية، عندما يريد الإنسان أن يعبّر عن فكره ورأيه، وأن يحرّك الكلمة لتفعل فعلها في حياة الناس (ياً عندما يريد الإنسان أن يعبّر عن فكره ورأيه، وأن يحرّك الكلمة لتفعل فعلها في حياة الناس (ياً أنها الذين أَيّه الذين آمنَا والنداءات التي تنطلق في القرآن بـ(أيها الذين آمنوا) ترمي إلى توعية الناس وتنبيههم، بأن ما يخاطبهم ا□ به، له علاقة والإيمان، بحيث أن الإنسان إذا لم يأخذ بذلك، فكأنه لم يأخذ بالإيمان ولم يسر على خط ّيه. والتقوى تمثال حركة الإيمان الذي يتجس ّد في واقع الإنسان.

فالإيمان با□ في عمقه وامتداده يمثّل الامتداد في خطّ □، ويمثّل شعور الإنسان بحضوره ورقا بته سبحانه عليه، بحيث يحسّ بوجود ا□ معه، كما لو كان يراَه، ويحسّ أيضا ً بحضور ا□ معه، أكثر من إحساسه بحضور الناس معه، ولذلك جاء في الحديث: "تعبد ا□ كأنتّك تراه ُ، فإن لم تك ُن تراه فإنّه يراك"، وعلى هذا، فإحساس الإنسان بوجود الأشياء من حوله، هو إحساس ٌ بوجود ا□ سبحانه، فهو لا يستطيع أن يتصور سماء ً وأرضا ً وجبالا ً وأنهارا ً وسهولا ً وبحارا ً وأشجارا ً تصورا ً مفصولا ً عن تصوّره □ سبحانه، لأن ّ وجود الكون يمثّ ل ظل ّ وجود ا□ سبحانه، فا□ سبحانه هو الحقيقة، وكل ّ الكون هو أثر

وجوده تعالى. ومن هنا، فإن " ا□ لا يريد لنا أن يكون الإيمان عندنا مجر "د فكرة في العقل أو كلمة في اللسان، وإنما يكون حضورا ً في العقل والقلب والحركة (إِنَّ مَا الْمُؤْمِنُونَ السَّدَءُ بنَ إِذَا تُكرِرَ اللسَّهُ وَجِلَتُ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلْلِيتَ وَ عَلْمَهُمْ آيَاتُهُ زَادَ تُهُمُ وَ إِذَا تُلْلِيمان هذا الإيمان يفتح حياة الإنسان على التقوى، لأن "التقوى تمثّل شعور الإنسان برقابة ا□ عليه، فالإنسان الذي يتقي ا□، فإنه يخافه ويحسب حسابه، وحساب الوقوف بين يديه ومساءلته له. وعلى هذا، فالمؤمن با□ عليه أن يمارس الحياة من خلال المسؤولية، ويتحرّك فيها ليبتغي الوسيلة إليه، ولابد "له أن يقرن الإيمان مع التقوى، لأن "إيمانا بلا تقوى لا معنى له، ما يصدق الفكرة هو العمل، فعلامة الصدق في الفكر والإيمان، هي العمل.

تعصي الإله َ وأنت تُظهر حبَّه *** هذا لعمُرك في الفعال بديع ُ لو كان ح ُبّ ُكُ صادقا ً لأطعته *** إن ّ َ المحب ّ َ لمن يحب ّ مطيع ُ

وقد ورد عن الإمام الصادق (ع) أنه قال: وهو يجيب سائلاً عن جماعة من الناس يقولون: إننا نخاف النار ونرجو الجنه، قال (ع): "كذبوا ليسوا براجين ولا خائفين، مَنْ رجا شيئا ً طلبه، ومَنْ خاف من شيء هرب منه" فإذا كنت تطلب الجنه، فعليك أن تطلب الجنه بكل ما يمهد الطريق إلى الجنه، وإذاً كنت تخاف من النار، فعليك أن تهرب من كل ما يدفعك إلى النار، أما أن تخاف النار وترجو الجنه، وتعمل كل ما فيه معمية □، إنه تكون كمثل من خاطبهم أمير المؤمنين علي ولا "أبمثل هذه الأعمال تريدون أن تجاوروا ا□ في دار قدسه هيهات لا يُخد عُ ا□ عن جنته فالجنه لا تُوه بمحالة محفوفة بالشهوات".

ولاا، كان الخطاب القرآني (يَا أَيِّهُا السَّدْرِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ)، راقبوا الْ وَلُوْ الْكَرِّ أعمالكم، فإذا رأيتم واجباً فافعلوه، وإذا رأيتم حراماً فاتركوه، وإذا رأيتم شبهة فقفوا عندهاً، فإنّ الوقوف عند الشبهة خير من الاقتحام في الهيّلَكة (وَقُولُوا قَولًا قَولًا سَدَيداً) ليكن قولكم قولَ الصواب والحقّ والعدل، لأنّ السداد في القول، يعني استقامة القول على الخطّ الذي قولكم قولَ الصواب والحقّ وبالنتائج الكبرى التي يرتفع بها مستوى الإنسان في الدنيا والآخرة. لذلك، لا تكن كلماتك كلمات كلمات الفعالية، أو كلمات طائرة في الهواء، تلقي الكلمة كيفما طرأت على فكرك. لذلك فكّر أوّلاً فيما يمكن أن تثيره الكلمة في حياة الناس من إيحاءات سلبييّة أو إيجابيّة، وفكّر في معنى الكلمة ومضمونها، هل أنّ هذه الكلمة تعطي معنى يرتبط با وبمصلحة الإنسان، وبما يحبّه اللهواء، الكلمة التي تهذي ولا تصلّ، والكلمة التي تؤكّيد الحق وتتنكّر توحّيد ولا تمرّق. لتكن كلمتك الكلمة التي تهذي ولا تصلّ، والكلمة التي تؤكّيد الحق وتتنكّر توحّيد ولا تمرّق. لتي كلماتك الكلمة التي تؤكّيد العدل وترفض الظلم، لأن كلمتك جزء من عملك. وقد ورد عن أمير المؤمنين للباطل، الكلمة التي تؤكّيد العدل وترفض الظلم، لأن كلمتك جزء من عملك. وقد ورد عن أمير المؤمنين تعالى، فقد رأى إنسانا " يتكلم كثيرا "، قال له: "يا هذا إنك ترُملي على كاتبيك" – وفي رواية على أظطاءك تكثُر، ولذا، فإنّ عليا ً (ع) يعطي عبارة عن رسائل ترسلها إلى ربّيك. فأنت عندما تشتم، تعالى من القول أن تسهد شهادة زور، أو تؤيّد إنسانا " يريد الفي عندما تشتم، ال أن ترفضه، وترفض إنسانا " يريد ال منك أن تويده والعيدة أن ترفضه، وترفض إنسانا " يريد ال منك أن تويده وتقف معه... إن " هذه رسائل يومية تخجل من الناس عندما يسمعوك متلب سائلة وورية أو أولادك أو جيرانك أو من هم تحت يديك من عمّال وما شاكل، وستعرب أن المسقولية، الكلمة المملاّة وأولُولُ وا قَوْلاً سَد يريدا أل للمقالمة المركرّة والكلمة المدرّة والبعيدة عن الخطأ والانحراف.

نتائج التقوى وثمرات القول السديد:

وبعد الحديث عن الإيمان والعمل والتقوى والقول السديد، يصوّر لنا القرآن الكريم مسؤولية الإنسان مُقارَنَةً بكلّ القوى الضخمة في الحياة.. فكم هي السماوات والأرض واسعة وضخمة وممتدّة، فإذا قاس الإنسان نفسه إلى السماوات هل يكون إلا ذرّة ضائعة، أو إلى الأرض، هل يحسب نفسه أكثر من طبق تراب، أو إلى الجبال، هل يكون لا حماة من صخرة في صخورها؟. ومع ذلك يقارن القرآن بين مسؤولية الإنسان وبين حجم هذا الكون (إِنَّا عَرَضَّنْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَالْرُضِ وَالْكَبَالِ وَكَاْ بَيْنَ أَنَ يُدَمُّ مَلَيْتَهَا وَأَشْفَقْنَ مَنْ مَنْهَا وَحَمَّلَهَا الإنْسَانُ إِنَّتَهُ وَالْمُونِ وَالْمَوْولية، وكأنَّ اإِيساواتُ إِنَّا هُو النَّالِ وَالْمَوْولية، وكأنَّ اإِيسواواتُ عاقلة، ويخاطبها مخاطبة السيد للعبد العاقل الواعي: أينها وأنس السماوات إنني أحمَّلك مسؤولية كلِّ ما في داخلك وعلى سطحك وفي أعماقك في كلِّ هذه المخلوقات السماوات إنني أحمَّلك مسؤولية كلِّ ما في داخلك وعلى سطحك وفي أعماقك في كلِّ هذه المخلوقات الجامدة والحيثة والمي دورك في وأنت أينها الإبيال الشامخة في الفضاء، الممتدة في الأرض، أحمَّلك مؤولية كلِّ البحار والأنهار والأشجار، فتحمّلي مسؤوليتك ومارسي دورك في الأبعاد، إنّ في داخلك وجودك حركة وقوانين وأوضاعاً، ولك دور في طبيعة حركة الحياة ونظامها، يديك لنقد م الحيان والسماوات تحوي ما تحوي، ولكن يا ربتنا لا نستطيع تحمّ لُل الأمانة، لأننا سنقف بين يتحرف قانون في هذا المجال أو ذاك، وعندها نقع في خطأ إدارته. وهكذا (فَاَ بَيْنَ أو هناك، أو يتحرف قانون في هذا المجال أو ذاك، وعندها نقع في خطأ إدارته. وهكذا (فَا َ بَيْنَ الوطاعة وهنا أمير المؤمنين (ع) في دعاء كميل "وهذا ما لاتقوم له السماوات والأرض" ولأنتها لا تستطيع تحمّ مُن المغلومة وكما يقود أمر تنظيم القوانين والسنن فيها، وليس لها إلا أن تطيع من خلال وجوداً عمسًا.

أما الإنسان، فقد وقف بعنفوانه، وقال: أنا الإنسان صاحب العقل الذكي يدير الكون، أنا الذي أملك حرّية الإرادة والحركة بالمستوى الذي أستطيع فيه أن أكتشف أسرار الكون وأديره. أنا للمسؤولية جدير، فحمّ لني ولن أعصيك فيما نهيتني، جدير، فحمّ لني ولن أعصيك فيما نهيتني، حدّد لي البرامج والخطوط، وسأنفّذ كلّ هذه البرامج (و َح َم َلاَ ه َالإنْ سَانُ) حمل الأمانة بكلّ عروره وكبريائه وجهله (إ ِن ّ َه ُ ك َان َ ط َل ُوه ًا ج َه ُولا) ظلم نفسه ولم يفكّر بحجم المسؤولية، فجهل النتائج وغفل عن دوره، ولم يتحرّك في طريق الاستقامة..

المصدر: كتاب من عرفان القرآن